الشريفة، فليس من المقبول أن يعرض لهذه اللغة الشريفة شيء مما يقدح فيها من اللحن الذي بدأ يشيع. وإذا كانت العربية قد شرّفت بهذه المنزلة العلية، فهي كلام الله وكلام نبيّه، وهي المروءة الظاهرة[1]، فحريّ بالمسلمين أن يعملوا على صونها وإبعادها عن غائلة اللحن.

لقد ذهب أهل العلم من أهل العربية وغيرهم من العلماء إلى هذا، فقال كثير منهم: إن أبا الأسود الدؤلي[2] هو الواضع، وقد سيقت أخبار كثيرة في هذا المعنى تتفق في فحواها وتختلف في أجزائها. وتعقد هذه الأخبار الصلة بين أبي الأسود وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وقد قيل في هذا أيضاً: إن أبا الأسود وضع أبواب الفاعل والمفعول، والمضاف وحروف النصب والجر والجزم، والتعجب والاستفهام والعطف والنعت و«إن وأخواتها»[3].

ولا أريد أن أخوض في تدقيق هذا، وما كان من أثر لأبي الأسود وما أنجزه في الدرس النحوي. لقد قال النقاد في ذلك كثيراً، وليس من غرضي أن أعرض لهذا. لقد وضع النحو فكان النحاة الأوائل ممن قيل إنهم أخذوا عن أبي الأسود، وليس من المهم أن أعرض لمن سبق في الأخذ عنه أعنبسة الفيل أم ميمون الأقرن[4]. وليس من غرضي أيضاً أن أعرض لعيسى بن عمر وقصة كتابية «الإكمال والجامع»، وما كان من أثر ليحيى بن يعمر، وهو من أهل القراءات. وليس لي أن أعرض للنحاة الأوائل كعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد وسيبويه. وقد كان لكل من هؤلاء منزلته العلمية ومحله في تاريخ العربية.

---

(١) انظر «الإيضاح في علل النحو» ص ص ٩٥، ٩٦.

(٢) انظر: أخبار النحويين البصريين ص ١٥، نزهة الألباء ص ١٨.

(٣) انظر: إنباه الرواة ١٦/١، طبقات النحويين ص ١٣.

(٤) معجم الأدباء ١٤٧/٦، ٢٠٩/١٩، أخبار النحويين البصريين ص ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.